

عُمق خطبة الرسول في إستقبال شهر رمضان المبارك



أشار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فلسفة الصيام، ورسالة رمضان، حتى يكون الصيام عملاً يعبر عن وعي وعقيدة، لا جوعاً وعطشاً، وذلك بخطبته التي رواها أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبنا ذات يوم فقال:

«أيُّها الناس قد أقبلَ إليكم شهرٌ الله بالبركة والرحمة والمغفرة، وشهرٌ هو عند الله أفضلُ الشهور، وأيامه أفضلُ الأيام، ولياليه أفضلُ الليالي، وساعاته أفضلُ الساعات، وهو شهرٌ دُعيتُم فيه إلى ضيافة الله وجُعِلتُم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسُكم فيه تسبيحٌ، ونومُكم فيه عبادةٌ، وعملُكم فيه مقبولٌ، ودعاؤُكم فيه مستجابٌ، فأسألوا الله ربَّكم بانيات صادقةٍ، وقلوبٍ طاهرةٍ، أن يوفِّقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنَّ الشقيَّ مَنْ حُرِمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم، وعضُّوا عما لا يحلُّ النظر إليه أبصاركم، وعمَّا لا يحلُّ الاستماعُ إليه أسماعكم، وتحذَّروا على أيتام الناس يُحذَّرون على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا أيديكم بالدُّعاء في أوقات صلاتكم، فإنَّها أفضلُ الساعات، ينظرُ الله عزَّ وجلَّ فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبُهم إذا نادوه، ويلبِّيهم إذا نادوه،

ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيبُ لهم إذا دعوه. إنَّ أنفسكم مرهونةٌ بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلةٌ من أوزاركم فخففوها عنها بطول سجودكم، واعلموا أنَّ الله أقسم بعزّته أن لا يعذبَ المصلّين والساجدين وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقومُ الناسُ لربِّ العالمين. أيّها الناسُ: مَنْ فطّرَ منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتقُ رقبةٍ ومغفرةٌ لما مضى من ذنوبه».

قيل يا رسول الله: فليس كذلّنا يقدر على ذلك! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«مَنْ حَسَنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلِقَ لَهُ جَوازٌ عَلَى الصَّراطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ خَفَّفَ اللهُ عَلَيْهِ حَسَابَهُ، وَمَنْ كَفَّ فِيهِ شَرُّهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ قَطَعَ اللهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرَضاً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِنْ أَدَى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ثَقَّلَ اللهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخَفُّ الْمَوَازِينُ، وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ. إِنَّ أَبْوابَ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مَفْتُحَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَغْلِقَهَا عَنْكُمْ، وَأَبْوابَ النَّارِ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَفْتَحَهَا عَلَيْكُمْ، وَالشَّيَاطِينُ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْكُمْ».

فقال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فقمْتُ وقلتُ: يا رسول الله ما أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فقال: يا أبا الحسن «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ».

الصوم فرصة تأمل كبيرة ومهمة، تحثُّ الإنسان على التفكير في أمره، وعدم إشغال قلبه وعقله ومشاعره فيما لا يرضي الله تعالى. فالغني في هذا الشهر يتحسّس جوع الفقير، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «أَمَّا الْعَلَّةُ فِي الصَّيَامِ، لَيْسَتْ بِهِيَ الْغَنَى وَالْفَقِيرُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدْ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ، لِأَنَّ الْغَنَى كُلَّ مَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَّرَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَسُوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَنْ يَذِيقَ الْغَنَى مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ، لِيَرْقَّ عَلَى الضَّعِيفِ وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ». المجال مفتوح أمام الصائمين والعابدين أن يعودوا إلى أنفسهم، ويقلعوا عن عاداتهم السيئة وسلوكياتهم المنحرفة، وأن يتعوّدوا على ذكر الله، والسّير في هديه، لأنّ الحياة لا تحتل حقدًا وكراهية وبغضاء ومفاسد، بل تغتني بالإنسان العابد المخلص السّاعي إلى زرعها بكلّ مشاعر الطّهارة والبرّ في القول والعمل، فالصوم الحقيقي للإنسان، والذي يسمو به عاليًا، ثماره طيبة على الفرد والمجتمع كلّ حين.

